مقالة

## مأزق كيان يهود وأمريكا في غزة يشتد

## وينذر بالقضاء على الكيان وعلى نفوذ أمريكا في المنطقة

اشتد الخلاف مؤخراً بين حكومة نتنياهو وإدارة بايدن، وازدادت انتقادات نتنياهو لبايدن بشكل لاذع، فبعد أن كانت مقتصرة في بدايات الحرب على غزة على ما سمّوه "اليوم التالي"، تحولت اليوم إلى اتهامات بفرض حظر أسلحة غير معلن على كيان يهود. وتظهر حملة ودعوات في الولايات المتحدة وكيان يهود لإلغاء دعوة تلقاها نتنياهو لإلقاء كلمة في مجلسي الكونغرس في ٢٤ تموز القادم. ويُلاحظ أن وزير جيش كيان يهود يؤاف غالانت ما زال في الولايات المتحدة منذ ٣ أيام يبحث شؤون الحرب على غزة وتداعياتها على المنطقة.

إن الأمر الأبرز في هذه الحرب أنها حرب أمريكا أولاً قبل أن تكون حرب كيان يهود، وهي أيضاً حرب الغرب كله الذي صدر عن قول واحد منذ بدايتها هو: "من حق (إسرائيل) الدفاع عن نفسها". وما يلفت في هذه الحرب حجم الحضور العسكري الأمريكي والغربي ببوارجه وترساناته، والدعم الأمريكي والغربي العسكري والمالي والسياسي لتحقيق هدف القضاء على حركة حماس والسيطرة على غزة وصولاً إلى ما سمّوه "اليوم التالي".

لم يكن في ذهن أو تصور أحد من الذين أعلنوا هذه الحرب أن يفشلوا في تحقيق أهدافها، إذ كيف يفشلون وهم أقوى قوى الأرض، وعدوهم صغير وضعيف ومحاصر ولا ملجأ له، بوهمهم، أو أمَلَ أو مخرج! ولذلك كان فشلهم مفاجئاً لهم ومثيراً، بل ومُرعِباً. فما كان منهم إلا أن أفحشوا في الإجرام والقتل لتحقيق هدفهم، وبدلوا خططهم، ولم يتركوا وسيلة من وسائل الخداع أو ضغوط الترهيب والهدم والتجويع وما إلى ذلك إلا واستعملوها، ولكن دون طائل. وطالت المدة بغير طائلٍ أيضاً، واحتقان أهل المنطقة والمسلمين في العالم يزداد، وأخذت نار الحرب تتمدد، والتصعيد يزداد من لبنان واليمن والعراق، وازدادت الإصابات في جنود كيان يهود ومنشآته، ما هدد باتساع الحرب إلى ما قد يخرج عن حسابات أمريكا، ولا يُحاط بعواقبه. فخاف حكام المنطقة من ذلك، وامتد الخوف إلى دول الغرب وأمريكا. ثم طرأ تغير واضح في موقف أوروبا من هذه الحرب ومجرياتها، وتبيّن عجز أمريكا عن تحقيق أهدافها وضبط أعمالها، ما أجبرها على تعديل سياستها في الحرب والتدخل في أعمالها ومراحلها، بهدف معالجة أسباب فشلها. وكان هذا بارزاً في مبادرة بايدن المليئة بالخدع المكشوفة في ٣١ أيار الفائت.

هذا الفشل، والتغيير، والانكشاف، يشير إلى أن أمريكا مأزومة في هذه الحرب. ومن نافلة القول إن فشل كيان يهود، قاعدتها العسكرية الأضخم في المنطقة، ويدها الطويلة والضاربة، هو فشل أخطر وأكبر لأمريكا.

لقد جاءت أمريكا والغرب إلى المنطقة بقوىً عسكريةٍ هائلة لتحقيق أهداف الحرب وإنجازها مهما تطلب ذلك من مجازر وانتهاكات وضمان أن لا يتحرك أو ينتفض أي جيش أو شعب. وكانت خلال الأسابيع والأشهر الأولى للحرب تتحكَّم وتمنع أي وقف لها أو هدنة ما لم تكن وفق شروطها الاستكبارية. فما الذي يجعلها تتراجع بعد ذلك وتلهث خلف مبادرة مخادعة تزعم أنها توقف الحرب، وحقيقتها تعليقٌ لها إلى حين معالجة أسباب الفشل وتهيئة الظروف لاستئنافها؟ وما الذي يجعلها تضغط على نتنياهو وحماس معاً لقَبولها وتوظف الوسطاء لأجل ذلك لولا أنها عاجزة وفي مأزق؟ ثم رغم كل ذلك ما زالت المبادرة كلاماً مهملاً، لا يقبل بها أيٌّ من طرفي الحرب، الأمر الذي يعقد مأزق إدارة بايدن الذي يداهمه استحقاق الانتخابات وهو غارق في فشله وعجزه.

لقد أضيف إلى طول أمد الحرب والضغوطِ الشعبية الداخلية في الغرب، الضغوطُ الدوليةُ وبخاصةٍ بعد مذكرة المحكمة الجنائية الدولية في ٢٠ أيار وقرار محكمة العدل الدولية في ٢٤ أيار، وكان لذلك أثره على أمريكا التي أخذت تضغط على نتنياهو للتقليل من المجازر وإدخال مساعدات ولو ظاهرياً، وهو ما كان يَلْقى تذمُّراً من نتنياهو، وأدى إلى خلافات راكمها الفشل المستمر والضغوط المتزايدة، إلى أن خرج بايدن بمبادرته الفاشلة، التي كانت سبباً في تفاقم الخلاف وإسفار نتنياهو بمواجهته لبايدن واتهامه بتقليص شحنات الأسلحة لجيش يهود.

فنتنياهو وبايدن كلاهما في فشل ومآزق بسبب صمود غزة، ويرى كلٌّ منهما الخروجَ مما هو فيه بخطط وأعمال تضر الآخر وقد تقضي عليه سياسياً، لذلك تعسر الخروجُ من هذا الخلاف فتفاقم. وازدادت حدته لأن نتنياهو يدعم فوز ترامب في الانتخابات الأمريكية، وهذا يشجعه على المضي في تحديه لبايدن. وهذا يفسر استقبال وزير جيش يهود غالانت في الولايات المتحدة، ولقاءاته مع وزير الخارجية الأمريكي بلينكن، ووزير الدفاع لويد أوستن وغيره من المسؤولين، والبحث في كل ما يتعلق بالحرب في غزة وكأنه رئيس الوزراء، فيبحث قضية شحن الأسلحة، والمرحلة الثالثة من الحرب، والسلطة في غزة بعد الحرب، وقضية الحرب مع حزب إيران، وتنفيذ مبادرة بايدن التي أعلن موافقته عليها. وهو يفسر أيضاً الأصوات المتعالية في الولايات المتحدة وكيان يهود ضد أن يُلقي نتنياهو خطاباً في مجلسي الكونغرس ما لم يلتزم بصفقة اتفاق مع حماس وإيقاف الحرب. وهذا كله يُعد رداً من الإدارة الأمريكية على نتنياهو، وضغوطاً وتهديدات بدعم معارضيه وإضعاف سلطته داخل الكيان وفي الجيش.

إلا أنه تجدر الإشارة إلى أن هذا الخلاف بين نتنياهو وبايدن بشأن الحرب على غزة هو في أعمال الحرب وتكتيكاتها وليس في هدف القضاء على حماس. وهو حول الموقف من ردود الفعل الدولية ولو ظاهرياً، الأمر الذي يعاني من ضغوطه بايدن، ولا يكاد يعيره نتنياهو أي اهتمام. أي أنه خلاف ثانوي فيما يتعلق بغزة.

وفي خضم هذا الخلاف فإنّ الولايات المتحدة التي جاءت إلى المنطقة بجيوشها وهيبتها وتهديداتها لحماية كيان يهود وهو ينجز مهمته في غزة، لمست بعد فشلها الذريع في هذه الحرب، تأييد أهل المنطقة والمسلمين لغزة وافتخارهم بصمودها، ولمست التحفز للمناصرة، ورأت الإمكانات العسكرية والاستعدادات القتالية والاحتقان المتزايد في المنطقة، وقابليتها للانفجار واحتمال سقوط الأنظمة التابعة لها، الأمر الذي ستكون تداعيات خطيرة ومصيرية. يضاف إلى ذلك أن نسبة قوتها إلى طاقات المنطقة أقلُّ بكثير من نسبة قوة كيان يهود إلى غزة وطاقاتها، وأنّ جيوشها وجنودها مثل جيش يهود وجنوده في الجبن والفرار. فهم من الذين قال تعالى فيهم وفي اليهود: ﴿**وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا**﴾. ولذلك غيّرت الإدارة الأمريكية لهجتها التهديدية، وصارت تكرر أنها لا تريد توسيع الحرب، وتواجه صلف نتنياهو وعناده بأن توسيع الحرب سيجر المنطقة إلى حرب لن تكون في مصلحة كيان يهود، وتصر على إجراء صفقة لوقف مؤقت للحرب، وتحاول إجبار نتنياهو عليها، وهذا مما تبتغيه من استقبال غالانت حالياً.

ولا شك أن الإدارة الأمريكية تستفيد في سياستها المستجدة هذه من مساندة حزب إيران في لبنان العسكرية لغزة، ومن تصعيده الذي قلب الصورة المعهودة للاشتباكات بينه وبين كيان يهود، حيث صارت اليوم يده هي العليا على الكيان بعد أن كان الأمر عكس ذلك. وتستفيد أيضاً من تصعيد الحوثيين، ومن تهديدات الفصائل العراقية وإيران بأنهم سيدخلون الحرب إذا أُعلنت الحرب على حزب إيران اللبناني.

ومن الطبيعي في خضم هذا التلاطم بين الأكاذيب والمخادعات اليهودية والأمريكية، وتشابك حكام كيان يهود، وتمايز المواقف الأوروبية عن الأمريكية، أمام صمود غزة واستعدادات المنطقة واحتقانها، أن تختلف التوقعات لقادم الأحداث. ولكن

يظل الثابت فيها أن أمريكا وكيان يهود يعانيان من مآزق خطيرة عليهما، ولا يجدان أي حل لما هما فيه أو مخرج. فكيان يهود عالة على الولايات المتحدة في وجوده. والولايات المتحدة تتخبط بأكاذيبها وأمانيها العسيرة بأن يوافق نتنياهو على ما يخشاه ويرفضه كالانسحاب من رفح ومعبر فيلادلفيا وغيره، وأن يوقف الحرب لمدة طويلة قد يُحاسب خلالها ويُدان، وبأن توافق حماس على ما ترفضه رفضاً قاطعاً، وهو أن ينسحب جيش يهود من بعض المناطق في غزة مقابل إطلاق سراح الأسرى، وعلى وقف إطلاق النار خلال هذه الفترة. وهذا خداع مكشوف، ويدل على أن الولايات المتحدة تنوي العودة إلى الحرب للقضاء على حماس بعد الإفراج عن الأسرى والتخلص من ضغوط أهاليهم، وبعد إعادة ترميم جيش يهود المفكك ومعالجة أسباب فشل الحرب. لذلك كان ما تسعى إليه أمريكا بعيد المنال، وسعيها إليه دليل على انغلاق السبل أمامها.

ومما يدل على صعوبة أمانيها وما تسعى إليه، محاولاتها تحقيق وقف متبادل للتصعيد بين حزب إيران اللبناني وكيان يهود بمعزل عن الحرب في غزة. وهذا فيه تجاهل لكون حزب إيران يربط وقف التصعيد أو ما يسميه مساندة غزة بإيقاف الحرب على غزة، وكذلك يفعل كل وكلاء إيران. ويعلم حزب إيران بأنه سيكون الهدف التالي لكيان يهود إذا استطاع القضاء على حماس، وقد ذكر القول: "أُكلتُ يوم أُكِل الثور الأبيض". ولذلك، فإن القضاء على حماس الذي يحقق مصلحة لأمريكا لا يحقق أي مصلحة لإيران التي تدور في فلكها، بل يقطع أهم أذرعها في العالم، بعد قطع ذراعها أو ذراعيها في غزة وفلسطين. ولذلك أيضاً، فإن سعي الولايات المتحدة لوقف تصعيد حزب إيران في لبنان وسائر وكلاء إيران والحؤول دون اتساع نطاق الحرب في المنطقة مع استمرار استهداف القضاء على حماس، أمر بعيد المنال وليس فيه حكمة ولا جدية، وهو عمل فاشل مسبقاً.

وقد يخطر سؤال: ولماذا تقدِّم أمريكا، وهي الدولة الأولى في العالم، مبادرةً طافحةً بالخدع المكشوفة، ولا تخلو من تناقض، وغير قابلة للتنفيذ، لماذا؟ ولماذا ترسل كبار مسؤوليها وسياسييها إلى المنطقة كبلينكن وهوكشتاين لعرض سياسات لا حظ لها في القبول أو التنفيذ؟ والجواب: إن هذا الأمر يرجع إلى الفشل والمآزق المتزايدة، وانغلاق سبل الحل، ويزيد الفشل فشلاً. وهو ما يزيد اهتزاز عرش أمريكا شدةً وعنفاً.

ولذلك، فإن الراجح والله أعلم، أن فشل أمريكا في غزة سيتكرس، وستكون له تداعياته الإيجابية على المنطقة والعالم. ولا مخرجَ لأمريكا من هذه المآزق بتاتاً، سوى أنها قد تتمكن من تأخير هزيمتها في المنطقة إذا أحسنت إدارة مآزقها في غزة والعالم. وأقل المخارج خطراً عليها الآن – والله أعلم – هو أن توقف حربها على غزة وقفاً نهائياً، وتجبر ربيبتها على ذلك، وعلى الخروج منها تجر أذيال الخيبة، في إعلان لفشلهما وهزيمتهما كليهما.

أما تضحيات أهل غزة الكبيرة وصبرهم واحتسابهم الذي يثير العجب ويغبطهم عليه كل مؤمن، فإن ذلك خيرٌ لهم ولسائر المسلمين، وهو من بركات الإيمان الذي تجسَّدَ في عملية طوفان الأقصى، وفي جهادٍ قلَّ مثيله وعز نظيرُه، لفئةٍ قليلة العدد والعُدة، صامدةٍ صابرةٍ راضية بقضاء الله. وإن ما نراه من تأييد مسلمي العالم لهم بما يستطيعون، وتطلُّعهم لنصرتهم رغم عجزهم وقلة حيلتهم، لَيُبَشِّر بإمكانية أن تتسع دائرة هذه الحرب، وأن تنطلق جموعٌ وجحافل، وتفعل فعلها طاقات لم تكن تخطر ببال بشر لتستأصل كيان يهود من شأفته، وتقضي على الهيمنة الأمريكية والغربية، وما ذلك على الله بعزيز. قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾.

**كتبه للمكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير**

**محمود عبد الهادي**